وسائل إثراء الدلالة في الشعر الفلسطيني المقاوم ـ لطفي زغلول نموذجاً

د. عاطي عبيات *

د. يحيى معروف **

* أستاذ مساعد/ جامعة شهيد جمران أهواز/ إيران.

** أستاذ مشارك/ جامعة رازي الحكومية/ كرمنشاه/ إيران.

ملخص:

الوسائل الإيحائية "كالرمز والتراث" من الوسائل التي كثر توظيفهما في الشعر العربي المعاصرعامةً، والشعر الفلسطيني خاصةً، وهي من التقنيات التي يعتمدها الشاعر للإيحاء والتأثير بدلاً من المباشرة و التصريح، فتنقل المتلقي من المستوي المباشر للقصيدة إلى المعاني والدلالات الكامنة وراء النص، كما تقوم باستكمال ما تعجز الكلمات المباشرة عن بيانه، فالتعبير بالرمز ومعطيات التراث تعطي زخماً وغنىً وخصوبةً للنص الشعري، وأصالةً لأدب الأديب، وهذا ما دأب عليه شعراء العرب المعاصرين عامةً. ومنذ النكبة عام ١٩٤٨ واحتلال فلسطين من قبل الكيان الصهيوني، تجنّد كثيرٌ من شعراء فلسطين للذود عنها بما يمتلكون من قدرات فكرية وفنية ومنهم الشاعر "لطفي زغلول" الذي حمل القضية الفلسطينية على عاتقه، فاتخذ من الشعر وسيلة تحريضية وسلاحاً فتاكاً ضدّ المحتل، ولكي يكون لسلاحه الشعريّ فاعلية أقوى في التواصل مع الشعب وأمته في الكفاح وبث الحماس في نفوس المناضلين، عكف على توظيف العناصر الرمزية والتراثية لما فيها من قدرة على توجيه الأفكار وتعميق الرؤية الفنية وإثراء النص وتخصيبه. **وفي خضم هذا وذاك نطرح سؤالين اثنين في هذا المقال**

١. أولاً: ما الفائده من التعبير بالرمز والتراث وما مدى فاعليتهما في شعر "زغلول"؟

٢. ثانياً: ما أسباب لجوء الشاعرفي الأرض المحتله لتوظيف تلك التقنيات، وما مسوِّغاته؟

الكلمات المحورية: لطفي زغلول، الرمز، التراث، فلسطين، الشعرالمقاوم، الطبيعة، الألوان

Abstract:

Decoding means such as symbols and heritage are techniques commonly used in contemporary Arabic poetry and in Palestinian poetry in particular. These means help the poet express what he wants implicitly instead of explicitly expressing his meaning. This helps the recipient go under the surface to get the deep meaning of the text. This way of expression gives the text creativity and great impact. This is the method usually followed by contemporary poets. Thus a big number of Palestinian poets have dedicated their poetry for defending the Palestinian issue since the occupation of Palestine since 1948.

Lutfi Zaghloul is one of these poets who used his poetry as a tool against the Israeli occupation. Furthermore, he used cultural and symbolic aspects to give his poetry more impact, richness, and affectiveness. ***Therefore, the study poses two important questions:***

1. What is the advantage of using symbols and heritage and what is their affectiveness?

2. What are the reasons which made the poet resort to these means?

مقدمة:

إنّ سيطرة الاتجاه الواقعي على الأدب الفلسطيني، لاتعني أنّ الشعراء لم يتجهوا اتجاهات أخرى، فما لم يستطيعوا التعبيرعنه صراحةً عبّروا عنه بالوسائل الرمزية. إنّ الشعراء الرمزيين تركوا لخيالهم العنان في التعبير عن الحس الجمالي، وابتعدوا عن الواقع ليصوروا عالم الأحلام، وليعبروا عن رغبات مكبوتة من السعادة والنشوة والجمال، حسبهم في ذلك الشعور باللذة النفسية التي تولدها فيهم أمزجة خيالية غامضة (١).

فأصبحت الرموز بمستوياتها كافة ذات أهمية قصوى للشاعر الفلسطيني المعاصر، بحيث غدا استدعاؤها أمراَ يثري المضمون الشعري، ويكشف عن المعاني التي يصعب الحديث عنها بطريقة مباشرة. فالرموز التراثية ومعطياتها لها القدرة على الإيحاء بمشاعر وأحاسيس لاتنفد«حيث تعيش هذه المعطيات في وجدانات الناس وأعماقهم، تحف بها هالة من القداسة والإكبار لأنّها تمثل الجذور الأساسية لتكوينهم الفكري والوجداني والنفسي، ومن ثم فإنّ الشاعر حين يتوسل إلى إيصال الأبعاد النفسية والشعورية لرؤيته الشعورية عبر جسور من معطيات التراث وإفرازات الرموز، فإنّه يتوسل إلى ذلك بأكثرالوسائل فعالية وقدرة على التأثير والنفاد، هذا بالإضافة إلى أنّ استخدام الرموز ومعطياتها التراثية يضفي على العمل الشعري عراقةً وأصالةً، ويمثل نوعاً من امتداد الماضي بالحاضر، وتغلغل جذور الحاضر في تربة الماضي الخصبة المعطاء، كما أنّه يمنح الرؤية الشعرية نوعاَ من الشمول والكلية، بحيث يجعلها تتخطّى حدود الزمان والمكان، ويتعانق في إطارها الماضي مع الحاضر (٢)، بالتالي إنّ معطيات الرمز والتراث عامل مؤثر في إغناء الصورة، وفي رفد أبعادها أبعاداَ جديدةً وآفاقاَ متنوعةً، وكذلك فإنّ وجود الرمز يستحضر معه مفردات خاصة بهِ، وهذه المفردات تؤدي إلى تخصيب الصورة، وإغناء مناخاتها فلم يكن هذا الاتجاه الرمزِي جديداً في الشعر العربي، وإنّما سار الشعراء الفلسطينيون على خُطى إخوانهم العرب في التعبيرعمّا لم يستطيعوا أن يبوحوا بِهِ، فالظروف الصعبة والمناخ المظلم الذي عاش في كنفه الفلسطينيون، حدا بهم الاتجاه إلى لغة الرمز ومواصلة النضال الشعري بوجه المحتل، لأنّ التصريح بالأفكار والأحاسيس الكامنة ضد المحتل، ربّما تقود صاحبها إلى الاعتقال أو السجن أو القتل من قبل المحتل، ولهذا السبب لجأ كثير من شعراء فلسطين إلى الرمزية والاستعانة بالتراث. الشاعر لطفي زغلول عاش هموم وطنه ومعاناته، وعبرّعنها بصدق ولهفة، فجاءت لغته الشعرية واضحة جلية دون إبهام وغموض، كما نهلت لغته كثيراً من خصوبة التراث وثراء الرمز في مسيرتها النضالية، وكما يقال عنه

إنّه كان فعالية ثقافية، تتحرك بقوة في حقول الإبداع الشعري ويواصل اكتشافه لمناطق جديدة في الشعروالكتابة وإقامة تلك الجسور المجدولة بقوة بين مناطق الإبداع والذوق السليم والخيال الواسع والعواطف الجياشة، معبراً عن معطيات عالمه الحضاري، ومحركاً أذهان قومه وشعبه نحو المستقبل، ومذكراً بقصائده التي تحدو بك إلى التفكير في ماهية الوطن والمعاناة، وهي قصائد لن تنساها أبداً؛ لأنّها كُتبت بدموع سحت على قرطاسه وروحه الوثابة الوطنية.

لطفي زغلول سيرته الذاتية والعملية:

وُلد الشاعرفي مدينة نابلس عام ١٩٣٨، وهو النجل الأكبر للشاعر الفلسطيني الراحل "عبداللطيف زغلول" حصل لطفي على شهادة الليسانس في التاريخ السياسي ودبلوم التربية العالي وماجستيرفي العلوم التربوية، شَغَلَ وظايف أكاديمية عدة ومنها مساعد عميد كلية نابلس الجامعية، ومحاضر في جامعة النجاح الوطنية وعضو الهيئة الاستشارية للاتحاد العام للكتّاب الفلسطينيين وغيرها، وفي مسيرته حاز على العشرات من شهادات التقدير والدروع والميداليات العربية والأجنبية. فقد كان كاتباً وشاعراً، كتب كثيراً من المقالات وترجم العديد من الكتب، كما أصدر٢٣ ديواناً شعرياً، ضمت أجمل ما كتب، في الحب والجمال، والوطن، وغير ذلك ومنها: ديوان: "هنا كنا وهنا سنكون"؛ وديوان "مطر النار والياسمين" و"موال في الليل العربي" و"مدينة وقودها الانسان" و "وعشتار والمطر الأخضر"؛ و "مدار النار والنوار"؛ و"قصائد بلون الحب"؛ و"أقول.. لا"؛ و"همس الروح"؛ و"هيَّا.. نشدو للوطن"؛ وغيرها من الدواوين والأناشيد الوطنية.

شاعرية لطفي زغلول:

تأثر الشاعر بوالده كثيراً، فكان والده شاعراً ولغوياً وأديباً فذّاً، ففي مكتبة والده تفتحت عيناه على دواوين الشعر للمتنبي والبحتري والبارودي وشوقي وغيرهم من الشعراء الكبار، كما كان لأسفاره ورحلاته الكثيرة إلى الخارج دورٌ في إغناء ثقافته ومعرفته بالآداب الغربية والآداب المترجمة إلى العربية، كما كان لأحداث النكبة عام ١٩٤٨، وما أعقبه من أحداث جسيمة نتيجة احتلال فلسطين من قبل الصهاينة، شكلّت الأثر العميق في إنتاجه الشعري والأدبي، انقطع عن كتابة الشعرحوالي عشرين عاماً الاّ ماندر، لكنّه مع بداية الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧ تفجرت شاعريته التي كانت كامنة وكأنّها تنتظر منذ أمد بعيد، فجاءت كالبحرالهادر الهائج الذي لايتوقف (٣).

طرق شاعرنا أكثر من قالب وغرض شعري لبيان همومه وهموم وطنه المحتل، فتنوعت الأغراض الشعرية لديه من شعر وطني وشعر سياسي وشعر غزلي، امتزجت فيه الحبيبة والوطن معاً، بحيث أصبحت المرأة والوطن تشكلان امرأة واحدة في شعره. وأيضاً تناول الشعر الاجتماعي والشعر الديني الصوفي والرثاء و الأناشيد بحيث أصبح في هذا المجال، لايشق له غبار في عالم الأناشيد حتى لقّب بشاعر الأناشيد، وغير ذلك من الأشكال الشعرية.

الخلفية التاريخية:

تناولت خمس دراسات جامعية مجموعاته الشعرية بالتحليل والدراسة وأكثر من عشرات القراءات المختلفه التي صبّت اهتمامها في البحث والتقصي في جماليات شعره[٤] ومنها: دراسة في شعر لطفي زغلول، للباحثة «منال شريف عبد الله» بإشراف الدكتور «محمد جواد النوري» جامعة القدس المفتوحة عام١٩٩٧ والتي ضمت موضوعات عدّة: نشأة الشاعر وحياته وآثاره والعوامل الأدبية التي أسهمت في تغذية شاعريته كما تناولت أغراضه الشعرية ومعجمه الشعري ومزاياه الفنية ودراسة للباحثة «فاطمة زكي الفارس»، بإشراف الدكتور زهير ابراهيم آل سيف «المرأة في شعر لطفي زغلول- جامعة القدس المفتوحة عام ٢٠٠٠» فاشتملت الدراسة على حياة لطفي زغلول الجامعية وأغراضه الشعرية وأُسلوبه في تناوله للمرأة في شعره، كما تناولت قراءتين تحليليتين للدكتور «عبدالرحمن عباد» في مجموعتيه الشعريتين «للوطن نشدو هيا –أقرأ في عينيك» حيث صبّ الكاتب جلّ اهتمامه على الهندسة الصوتية للغة الشاعر الشعرية وأُسلوبه في كيفية استخدام الأفعال، وتناولت قراءة تحليلية شعره الصوفي «همس الروح» للدكتور عبدالمنعم خورشيد من جامعة سوربون، وقراءة وصفية للمجموعته الشعريه: « هنا كنا هنا سنكون» بقلم الدكتور عبدالله ميمون الذي سعى فيها إلى إخضاع المنهج الوصفي من خلال التعامل مع النص الشعري من حيث الكم والشكل والتوزيع على الأهداف والأغراض والاتجاهات، والوقوف عند التقينات والأسس الموظفة لبناء هذا النص الشعري. وقراءة تحليلية لمجموعته الشعريه «مدارالنار والنّوار» بقلم عادل الأسطة، من جامعة النجاح الوطنية، كما تناول الشاعر الفلسطيني على الخليلي «مدينة وقودها إنسان»، وأيضاً تناول الشاعر الفلسطيني المعروف «فاروق مواسي» قصيدة هذا المدى من ديوان «مدارالنار . والنوار»، كما تناول العديد من الباحثين إنتاجاته الشعرية الأُخرى.

التراث الديني:

العطاء القرآني:

لقد كان العطاء القرآني في كل العصور بالنسبة للشاعر هو الينبوع الدائم والزاخر لتفجير القيم النبيله، فالشاعر دائماَ في بحث عن أرض صلبة حتي يقف عليها ليبني فوقها حاضره الشعري عندما تعصف به الأعاصير كي تمنحه قدراً من الأمن والاستقرار.. فالدين بما يملكه من سلطة ونفوذ في مشاعر الناس يعد من أهم المكونات الحضارية التي تشكل وعي المجتمع وفكرأفراده. فالقرآن الكريم احتل مساحة واسعة في الشعرالعربي الحديث وسيما الشعرالفلسطيني، فالشاعرعندما يستدعي عطاء القرآن الكريم «إنما يستدعيه بوصفه جزءاَ من البنية الدلالية للنص الشعري، فالإشارات القرآنية ترتبط مع النص الشعري عضوياَ وبنيوياَ ودلالياَ، وهذا تنويع جديد على نفس الموقف، ويؤكد أنّ العملية ليست مطلقا عملية اقتباس، وإنّما هي عملية تفجر لطاقات كامنة في النص يستكشفها شاعر بعد آخر، وكل حسب موقفه الشعري الراهن [٥] . فالتراث الديني كان مصدراً سخياً من مصادرالإلهام الشعري لدي معظم شعراء المسلمين وغيرهم. وهذا ما أكده عشري زايد في قوله: «واذا كان الكتاب المقدس هوالمصدر الأساسي الذي استمد منه الأدباء الأوربيون شخصياتهم ونماذجهم، فإنّ عدداً كبيراً منهم تأثر ببعض المصادر الإسلامية، وفي مقدمتها القرآن الكريم، حيث استمدوا من هذه المصادر الإسلامية كثيراً من الموضوعات والشخصيات التي كانت محوراً لأعمال أدبية عظيمة [٦] ».

قصة يوسف عليه السلام:

الشاعرالفلسطيني وظّف التراث القرآني، كوسيلة من وسائل التأثير والإقناع والإيحاء على المتلقي، فاستخدم ما يتلاءم مع تجربته الشعرية كاستحضار " لطفي زغلول " لقصة النبي "يوسف عليه السلام" وإخوته الذين تخلوه عنه وتآمروا عليه، وألقوه في غياهب الجب، مشبهاً إياه بحال الفلسطينيين بإخوانهم العرب، فيغدو الفلسطيني هنا "يوسف"، ويغدو العرب إخوانه الذين اتهموا الذئب بما اقترفته إيديهم. فالجب هنا اكتسب دلالة جديدة، فهو يعني الخيانة و المؤامرة و الظلم و الالتفاف على حقوق الآخرين، إنّه داء العصر المستشري في الأمة العربية، إنّه الحكام والسلطة وجميع من خذل الشعب وسلب كرامته وكبرياءه فإذا كان «يوسف عليه السلام» نجا من محنته من قبل السيارة، وصار وزيراً وأميراً، فإنّ الفلسطيني مازال، إلى إلان في الجُب، ينتظر من يساعده. وهذا

مانصت عليه كلمات الشاعر إذ يقول:

ويمر زمان بعد زمان
والموتور المحكوم عليه بالأشجان
ما زال بقاع الجُب... وما مرت
سيارة تُدلي دلواً حتي الآن (٧)

قصة أصحاب الفيل:

حاول لطفي زغلول بقدراته الفنية المعهودة في أكثر من موضع، توظيف إشارات تناصية أواستخدام قصص قرآنية في شعره، أو إيجاد تحوير في النص الغائب المستخدم في النص الحاضر، مع ما يتناسب مع تجربته ومع مايرمي إليه. ولهذا الغرض وظّف الشاعر قصة أصحاب الفيل، وما آل اليه مصيرهم، مشبهاً حال الصهاينة المحتلين بهم إذ يقول:

أطفالي ما عادوا يخشون الفيل
ولا أصحاب الفيل
نار حجارتهم من سجيل (٨)

في المقطع الشعري ثمة إشارة تناصية كامنةً في كلمات « أصحاب الفيل، حجارتهم من سجيل» التي تشير إلى سورة "أصحاب الفيل" التي قال الله عزوجل فيها: ﴿**ألم تَرَ كيف فعل ربك بأصحاب الفيل× ألم يجعل كيدهم في تضليل× وأرسل عليهم طيراً أبابيل× ترميهم بحجارةٍ من سجيلٍ× فجعلهم كعصف مأكول** (٩)﴾. فالشاعرأجرى تعديلاً وتحويراً بسيطاً في النص الغائب «ترميهم بحجارةً من سجيل»، وحورها إلى « نار حجارتهم من سجيل» في إشارة واضحة لانتفاضة الحجر وأطفالها ومدى فاعليتها في مواجهة المحتل، فكل حجرٍ يقذفه الطفل الفلسطيني يصبح ناراً يحرق المحتل وجنوده. فاستحضار النص القرآنيٍ هنا جاء للتذكير بمصير المحتل وزواله. فاذا كان أبرهة وأصحابه، هُزموا بحجارة من سجيل قذفتها عليهم طيورالأبابيل، فإنّ المحتل الصهيوني وجنوده سيهزمون ويندحرون بحجارة من نارٍ يقذفها عليهم أطفال فلسطين العُزل.

قصة أصحاب الكهف:

اتخذ الشاعر الفلسطيني " لطفي زغلول" من قصة "أصحاب الكهف وغيابهم الطويل وانقطاعهم عن مجتمعهم آنذاك وتواريهم عن الأنظار، رمزاً ووسيلة لبيان غياب الشعب العربي وصمته المطبق عمّا يجري في فلسطين من قتل وتهجير. فالشاعر تحدث عن هذه الحالة المزرية في قصيدته: «موال . . للشرف العربيّ» والذي وجهها إلى "جوليا بطرس"

صاحبة الأغنية الشهيرة «وين الشرف العربي وين الملايين» حيث يقول:

ياسيدتي.. ياللعجب ياللعجب
هل أحد لا يعرف..
أين الشرف العربيّ
لا يعرف أين الملايين.. الشعب العربي
ياسيدتي. . يكفي يكفي
فلقد نام الشعب العربي..
وأصبح من أهل الكهف
لا يوقظه أعتي القصف
لا يؤلمه ضرب السيف
خمدت مابين جوانحه.. نار الغضب
الشعب العربي قد أختار.. سبيل العزلة والهرب (١٠)

الشاعراتخذ من القصة القرآنية في مفارقة غير مباشرة وسيلة، للنقد اللأذع للشعب العربي الغافل والذي فقد الأحساس تجاه قضاياه الوطنية وعلى رأسها قضية فلسطين فأصبح لا يحرك ساكناً في المعادلات الدولية، فتضاءل دوره فغدا معزولاً وهامشياً بعيداً عن الشعوب الواعية والمتحررة.

قصة رؤية ملك مصر:

لطفي زغلول في إحدى محطاته الشعرية رمز بتناص غير مباشر إلى قصة « رؤيا الملك»، التي حدثت في عهد يوسف عليه السلام و نصّ عليها قوله تعالى: « وقال الملك إنّي أرى سبع بقراتٍ سِمانٍ يأكلهُنّ سبعٌ عِجافٌ وسبعَ سُنبلات خضرٍ وأُخَرَ يابسات ٍ يا أيها الملأُ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرّؤيا تعبرون» (١١) . ومارافقها من تفسير معجزٍ من قبل النبيّ يوسف عليه السلام، وسيلة إيحائية فاعلة للفت الأنظار لقضيته العادلة (فلسطين) ، حيث يقول:

أنا لا أُؤمن بالتنجيم
ولا شعوذة العرّافات..
ولا تفسير الأحلام
تلك العرافة.. قد صدقت
سبعة أعوام. . قد طويت
وتلتها سبعة أعوام

وأنا ما زلت طريد جرادٍ ينهشني

إنّي ما عدتُ أنا.. أنا

لم يترك منّي غير عظامي (١٢).

فالشاعر بهذا الترميز قصد المفارقة للتفسير الذي جاء بِهِ يوسف (ع) ، لأنّ تفسير رؤيا الشاعر لم تكن منطبقة تماماً لما آلت إليه رؤيا الملك، بل أصبحت سنين عجاف تتبعها سنين عجاف، ويتتبعها تشريد وتهجير دون انقطاع، عندما هاجم الشاعر «الجراد/ العدو الأسرائيلي»، فظل العجاف والتشريد يلازمان الشاعر في كل مكان وزمان. فالإيحاء بالجراد يدل على مدى شراسة العدوّ الصهيوني في التخريب وإحداث الدمار في الحقول والمدن والأرض الفلسطينية.

قصة إبراهيم عليه السلام:

الشاعر الفلسطيني تارةً يعمد إلى النص القرآني لبيان مواقفه الرافضة والمتمرده على الواقع الذي يعيش فيه، فيستلهم بعض نصوصه، فيمزج صرخاته بالنص القرآني، ممّا يعطي صورة ثرية للإنسان الفلسطيني المسالم وارتباطه بالرسل والأنبياء على مدى العصور. فالشاعر "لطفي زغلول" يتخذ من الآية الكريمة: « قلنا يا نارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم» ومن شخصية سيدنا ابراهيم عليه السلام رمزاً للرفض والتمرد على الواقع الأليم والتخلص من نير الأستبداد والأستعباد.

أقول لا..

وألف ألف لهفة

تذوب في جحيمها

تصير برداً وسلاماً

حول إبراهيمها

وفي لظي ضرامها

ومن حشا أرحامها

تخرج عند الفجر لعنةٌ..

على أصنامها (١٣).

فالشاعر في مفارقة غيرمباشرة، يرى في كل داعٍ من دعاة الحق محرِّراً ومنقذاً كإبراهيم عليه السلام الذي ضحّي بنفسه في محاربة فَرعون زمانه "نمرود" لتخليص البشرية من عبادة الأوثان إلى عبودية الله. فيدعو الشاعر الله بأن تكون نار الظلمة والطغاة على كل منقذ برداً وسلاماً.

ويعمد الشاعر الفلسطيني "لطفي زغلول" في تناصه القرآني إلى إيجاد مفارقة بين النص الغائب، والنص الحاضر، وهذا مارصدناه في عتابه ولومه على الأمة العربيه والشارع العربي المتشتت وأوضاعه المزرية نتيجة تخلفه و تقاعسه عن قضاياه المصيرية وفي طليعتها فلسطين.

أيتها اللاهية الساهية..
المشلولة الشعور والأحساس
رأسك كان شامخاً إلى العلا
فكيف هان اليوم هذا الرأس
ألم تكوني أنتِ خير أمةٍ
في العالمين.. أخرجت للناس
أخشى عليكِ أن تُدمَّري. .
وتنهاري من الأساس
أخشي عليك بعد هذا اليوم..
ذات ليلة. .
أن تلفظي الأنفاس (١٤).

فاستحضار هذه الآية القرآنية في ثنايا النص وما تحمله من دلالات يحقق البعد المعرفي للتناص، حيث ينقل القارئ إلى أجواء الآية الكريمة « كنتم خيرأمّةٍ أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» (١٥) لتبدو مرآة تنعكس على سطحها صورة الواقع المفارق العربي بين ماضٍ مجيد وعزٍ تليد وبين حاضر تعيس متخاذل تجاه القضايا الوطنية، بطريقة إيحائية غيرمباشرة، وهو ما يضفي على النص غنى وجمالاً فنياً.

الشخصيات والأحداث التاريخية:

يعد التاريخ منبعاً ثرياً، من منابع الإلهام الشعري، يعكس الشاعر من خلال الارتداد إليه روح العصر، ويعيدنا إلى الماضي وفق رؤية إنسانية معاصرة، تكشف هموم الإنسان ومعاناته وطموحه وأحلامه، ممايعني أنّ الماضي يعيش في الحاضر، ويرتبط معه بعلاقة جدلية تعتمد على التأثير والتأثر، حيث يستلهم الشاعر أوجه التشابه بين أحداث الماضي، و وقائع العصر وظروفه، سلباً أو إيجاباً، وهو في هذا كله يطلق العنان لخياله ليكشف صدى صوت الجماعة، وصدى نفسه في إطار الحقيقة العامة التي يبحث عنها، أو الموضوعات التاريخية الكبري التي تشكل حضوراً بارزاً في تاريخ الأمة، دون الخوض في جزئيات

صغيرة. (١٦) فالشاعر في توظيفه للرموز والتراث لايسعى إلى الاستعانة بحقائق التاريخ و مضامينه، بل يعتمد على المضامين الأثيلة فيه، فيمنحها زخماً عاماً بحيث يجعلها تتجاوز ماضيها وحقبتها ويوفر لها قدراً من قوة التواصل المباشر مع الزمن الراهن، لتظهر بسماتها وعناوينها المميزة كما كانت في زمنها. فاستدعاء الشخصيات والحوداث التاريخية في الشعر تدل على سعة الشاعر الثقافية ومعرفته بالتراث، وهوما يزود مقدرته الشعرية، وحتى العلمية بما في التراث من قيم فنية، فلا ضير إذا اشتدت أواصر الشاعر المسلم بتراثه وتاريخه، فهو أشدالتصاقاً من غيره بتراثه لما يرى فيه من مجد وعزّ وفي حاضره من قهر وهزيمة وتخاذل وتقاعس فيستذكر ما كان لعله يخفف وطأة الواقع المريرالراهن على نفسه، كما أنّه لجأ إلى التراث التاريخي ليخبئ فيه مالم يستطع الإفصاح والتعبير عنه صراحة. وتكون «معطيات التراث واستلهماته التاريخية صورة رامزة للواقع المستوفز بهموم القضايا السياسية، حيث يخبئ الشاعر في لوحة التراث لون فكره وخطوط رأيه، وتصبح اللوحة التأثرية مزيجاً لألوان يمتزج فيها الماضي بالحاضر (١٧).

صلاح الدين الأيوبي:

يعدّ صلاح الدين من أكثر الشخصيات التاريخية حضوراً على الساحة الشعرية الفلسطينية، بما له من قوة وفاعلية وتأثير على المتلقي، فتوظيف الرمز التاريخي هنا من قبل الشاعر لم يكن من أجل التوظيف لحادثة مرت في التاريخ، وإنما استغل هذا الحدث ليعطيه بعداً دلالياً وجمالياً في القصيدة. وهذا" لطفي زغلول" في قصيدته: «للقدس.. كلام آخر» يصب جام غضبه على حكّام العرب ويحملهم مأساة شعبه وشعوبهم وينعتهم بأشبع الأوصاف، وفي خضم هذا وذاك يشكو همّه إلى القدس الأسيرة ويعدها بمنقذ ماضيها "صلاح الدين" حيث يقول (١٨):

دول وأنظمة يقال بأنّها – عربية.. أو دينها الأسلام
ولها جيوش لاتعد.. لها دساتير.. لها نظم. . لها الأعلام
ولها من الأموال والخيرات لم. . تحلم بها أمم ولا أقوام
حل الهوان بأرضها وشعوبها– ودها حماها الظلم والظلام
كانوا عظاماً لايشق لهم غبار في الوغى واليوم هم أقزام
أسدٌ على أوطانهم وشعوبهم– لكنّهم حين الشداد نعام
ياقدس هذي حالنا ومآلنا – عصفت بنا الأحزان والآلام
ياقدس من إلاّ صلاح الدين.. ثانية ليومك قائد وإمام
لابّد يوماً أن يعود لنا حماكِ.. . وإن تجود بمثله الأحلام

فالشاعر تارةً يصور المسجد الأقصي وهو حزين وتارةً يصورالقدس الأسيرباكية، تندب صاحبها ومحرّرها "صلاح الدين" ومعركة حطين، فيستدعي الشاعر الرمزالتاريخي "صلاح الدين" علّه يستفز مشاعرحكّام العرب ويذكي حماسهم ونخوتهم كي يكونوا على قلب رجلٍ واحدٍ لمساندة القدس ودحر الاحتلال عنها.

وقفت والأقصى أمامي

مطرق حزين

أسمع في أذانه اللوعة والأنين

والقدس في أكبالها

تبكي على حطّين

على صلاح الدين

القدس في أصفادها

تسأل أين الخيل. .

والأسياف والفرسان (١٩) .

هكذا تصبح الرموز التاريخية وسيلة لقراءة التاريخ من وجهة نظر الشاعر، وليس من وجهة نظر المؤرخ، فالشاعر يقرأ الجانب المضيء من الأحداث، عكس المؤرخ الذي يتتبع الأحداث، ويتقصى فيها الهزائم و الانتصارات.

المعتصم وحادثة عموريا:

التاريخ الاسلامي والعربي شهد أروع مشهد في حياته على يد الخليفة العباسي "المعتصم" الذي استجاب لنداء امراة عربية قد انتهكت حرمتها من قبل الرومان بينما فلسطين تئن من جراحها، ورغم صيحات الثكلى وأنين الاطفال فلم يتحرك أحد من حكام العرب لنجدتهن ونجدة فلسطين وأصبحت الصيحات بلا جدوي، والوطن شطب عن الخارطة، فالفارق بين الرمز"المعتصم" والمرموز اليه "حكام العرب" غياب الغيرة والحمية والنخوة العربية، فالشاعر من خلال استدعاء الحدث يصور ماضي الأمة ومجدها التليد المفعم بالعزة والكرامة ويقابله بعصره الذي فقد حكامه النخوة والعزة، فهذا الترميز التاريخي إيضاً يصب في خانة السخرية والاستهزاء من قادة العرب، حيث يقول:

وامعتصماه. . واعرباه..

من يرجع لي وطناً

غالته يد النسيان

وطناً ماعاد له في خارطة الدنيا

اسمٌ أو شكلٌ أو عنوانٌ
أسقطه العرب من الحسبان
وامعتصماه. . أتسمعني
أنا في القدس
يحاصرني ليل الأحزان
وطني دامٍ في كلِّ مكانٍ
وامعتصماه. . طالَ الليل فلاً سيفٌ
صدئت أسياف بني قحطان
لاخيلٌ.. تصهل في الميدان
ساحات المجد بلا فرسان
وامعتصماه. . وامعتصماه
هل تسمعني. . هل تسمعني
مازلت أردِّد ليل نهاراً..
واعرباه
أنا جرحٌ دامٍ. . طال مداه. .. لم يبق مجيرٌ لي بحماهُ. . إلاّ الله (٢٠).

الشاعر الفلسطينيٍ من خلال استدعاء شخصية المعتصم حاول الربط بين «غيرة وشهامة» الحاكم العربي المسؤول آنذاك، وتقاعس حكام العرب وخذلانهم اليوم تجاه القضية الفلسطينية العادلة. فالشاعر من خلال تكرار الرمز مباشرة ومناشدته لهُ أراد التقريع واللوم بالحاكم العربي المعاصر الذي دارظهره عن قضاياه وفرطّ فيها وقطع انتمائه بالماضي وعروبته.

تارةً توظيف الرمز التاريخي "كالمعتصم" عند لطفي زغلول يراد منه استنهاض همم حكام العرب والشعب العربي وحماسهما، مع علم الشاعر بأنّ مناشدته لهم، لم تجلب له سوى الخيبة والقنوط.

أتساءل هل أنا بعد الان..
يتيم الأمة والوطن
هل خرج العرب..
من التاريخ.. من الزمن
وامعتصماه!! ..
أين عيون المعتصم؟ هل يسمعني؟

هل كانت تلك النخوة حلماً في حلم؟
وامعتصماه!! ..
واعرباه!! ..
وأعلم. . ليس سوى ربّي. .
من يسمعني
أين العربُ؟ أين العربُ؟ أسالها.. لست أمد يديَّ لهم طلباً
فلكم خاب الطلب
ويعود سؤالي.. رجع صدي..
ذهبوا.. ذهبوا.. ذهبوا.. ذهبوا (٢١) ..

التتار:

الشاعر الفلسطيني أراد من خلال الترميز«بالتتر»ربط المآسي والجرائم التي اُرتكبت من قبل تلك الأقوام الوحشية في الماضي وربطها بالحاضر المتمثل بالصهاينة وجرائمهم البشعة التي ارتكبوها بحق الشعب الفلسطيني الأعزل.

صبرتُ حتي ثار صبري وانفجر
حملت ُبإسم الوطن المأسور..
باسم شعبه المقهور.. في يدي حجر
أحمي التراب والشجر
فلم تزل بقية من "التتر"
تعيث في ديار قطعانها
يسطو على ترابه قرصانها
أقسمت لن أبقي على فلوله.. ولن أذر
أن لايكون بعد هذا اليوم. .
للغزاة في حماهُ مستقر
وأن يعود الوطن السليب
أن لا أستريح ساعة
حتى الخلاص المنتصر(٢٢).

الشاعر المناضل "زغلول" رمزإلى الصهاينة بأنّهم بقايا التتار التي عاثت في الأرض فساداً، وتسلطت بالقوة والبطش على مقدرات الشعب الفلسطيني، ورغم ذلك يقسم الشاعر ويتوعد الغزاة بأنّه في نهاية المطاف سيقضي عليهم ويطردهم، حتي يسترجع وطنه الذي اُغتُصب من قبل تتار العصر"اسرائيل".

الشخصيات الأدبية:

من الرموز الأدبية التي تعامل معها الشاعر الفلسطيني "لطفي زغلول" شخصية المتنبي وتراثه، فالشاعر اتخذ من تراث المتنبي وسيلة فاعلة لنقد ساخر ولاذع للعرب وحكامهم، وعرّاهم من أية عاطفة انسانية ونخوة عربية تجاه ما يتعرَّض له الشعب الفلسطيني الأعزل، ووصفهم بالأصنام في إشارة إلى فقدان الأحساس بالكرامة والعزة نتيجة قبولهم للذلة والهوان، وهذا مانص عليه، النص الغائب للمتنبي: « فما لجرح بميت إيلام؟ » بتحويربسيط، المتجسد في النص الحاضر، حيث يقول "زغلول":

يرى بلاد العرب..
يعتدي عليها. .
تستباح.. تغتصب
جرائم بحقها.. في كل آن ترتكب
ويسأل السائل: أين ما يسمى بالعرب؟
هل ماتت الجراح في أجسادهم. .
« فما لجرح ميت إيلام »؟
أم أنّهم في صمتهم أصنام
مصنوعة من حجر.. أو من خشب؟
في ذمة الله العرب [٢٣]

إن تتبعنا نص الشاعر الفلسطيني نجد بأن الشاعر يحمل حرقة الذل والمهانة التي وصل اليها الإنسان العربي المعاصرعلى حكام العرب، وايضاً صمت الشعوب العربية التي سلمت أمرها للواقع المهين، دون أي تحرك يذكر منها في سبيل تغيير واقعهم المر، والتفافهم حول قضاياهم المصيرية. وهكذا كان استرجاعه للذاكرة العربية واستغلاله للموروث الشعري العربي القديم وسيلة للتعبير عن القيم التي كان يحملها الإنسان العربي قديما، فنقلها وحضورها في أعمال الشعراء المعاصرين تكون انعكاساً لنفسياتهم الثائرة و المتمردة، في إشارة إلى الخمول، وموت الضمير العربي الذي اعتاد على الاستكانة و الانبطاح.

الرموز الحديثة:

الجامعة العربية:

الشاعر الفلسطيني "لطفي زغلول" يحمّل الجامعة العربية السيئة الصيت، التي ترعرعت في كنف الاستعمار ورضعت من ثدييه، تبعات احتلال فلسطين وأوضاعها

المأساوية، ويحملها المسؤولية مباشرة بما تعرضت من ضياع وتدمير، ويسعف قوله بتناص غيرمباشر بقصة "أصحاب الفيل" وقول "عبدالمطلب" الشهير: أنا ربّ الإبل وللبيت ربّ يحميه، الذي قاله "لأبرهه"-- زعيم أصحاب الفيل-- الذي أراد هدم الكعبة، وصدى هذا القول راح يتردد بين أوساط الجامعة العربية كمخرج ومهرب للتنصل من مسؤوليتها الأخلاقيه والقومية، تاركة الشعب الفلسطيني وحيداً يدافع عن أرضه ومقدسات المسلمين في معركة غير متكافئة.

تلك الجامعة العربية
ما كانت يوماً مرضية
قد كانت جسداً ليس له
روح شماء عروبية
تلك الجامعة العربية
خرجت من رحم الاستعمار
رضعت من ثدي الاستعمار
قد كانت منذ طفولتها
حتى أيام كهولتها
مبحرة في عكس التيار
كانت في القيد مُسيَّرةً
وتسير بإمرة سيدها ومشيدها. ..
تتهرب كي لاتعرف شيئا مما صار
حجتها إنّ الوطن له ربّ يحميه. ..
تلك الجامعة العربية
في عهد سيادتها وفخامتها
قد هُزم العرب على أيدي أصحاب الفيل
إسم فلسطين تحول في خارطة الأرض
إلى اسرائيل
. . فلتدفنْ أو تحرقْ أو تغرقْ جثتها
حتى لا يبقى أثر منها أو طلل بين الأطلال (٢٤).

وفي مقطع آخر يصب جام غضبه على حكام العرب وجامعتهم ويهجوهم هجاء مُرّاً دون تسمية مباشرة لهم، بل رمز اليهم بعبارة « عبيد الغربان القتلة» أي عبيد الصهاينة

والآمريكان ويتبرأ منهم. إذ يقول:

أتبرأ منكم
أعلن أنّي لست أمت لكم بصلة
أتبرأ منكم ياسفلة
ما أنتم إلاّ ذليلون ومأجورون
عبيد الغربان القتلة (٢٥) .

الأمم المتحدة:

من الرموز الحديثة التي وظّفها الشاعر "لطفي زغلول " رمزية الأمم المتحدة، المؤسسة الدولية التي من المفروض أن تجلب العدل والأمن والسلام والحرية للشعوب المضطهدة، أصبحت بفضل رجالاتها السفاحين، وسيلة للرعب والابتزاز فعدلت عن مسارها، وغدت بيد عصابة يتحكمون فيها، تشن الحروب على الإسلام بحجة الإرهاب ناسية نفسها بأنّها هي مصدر الرعب والإرهاب وعدم الاستقرار، إذ يقول فيها الشاعر:

سحقاً . للأمم المتحدة
من طغمة شرّ محتشدة
سحقاً سحقاً .
للدول الكبرى.. .
يحكمها قرصان سفّاح.. وعصابة
لا تفهم إلاّ لغة المدفع. .
والطيارة والدبابة..
سحقاً للأمم المتحدة
هي وكر وحوش وذئاب
هي مدرسة في الإرهاب
العالم تحت مظلتها
قد أصبح أشبه بالغاب. ..
أعلنت الحرب على الإسلام
على أصحاب القرآن
أزرت بحقوق الإنسان
قد سرقت من شعب فلسطين. ..
الوطن. ..
فهم يتيم الدار..
بلا وطن (٢٦)

الطبيعة:

الرمز الطبيعي يعدّ أحد أهم عناصر التصويرالرمزي، وهوشكل يبرز رؤية الشاعرالخاصة تجاه الوجود، ويعمل على تخصيبها، كما أنّه يمكّن الشاعرمن استبطان التجارب الحياتية، ويمنحه القدرة على استكناه المعاني استكناهاً عميقاً، مما يضفي على إبداعه نوعاً من الخصوصية والتفرد. "فالشاعرإذ يستمد رموزه من الطبيعة، يخلع عليها من عواطفه ويصبغ عليها من ذاته ما يجعلها تنفث إشعاعات وتموجات تضج بالإيحاءات. فالشاعر لاينظر إلى الطبيعة على أنّها مجرد شيء مادي منفصلٍ عنه، وإنّما يراها امتداداً لكيانه تتغذي من تجربته. زيادةً على ماتضفيه الأبعاد النفسيةً على الرمزمن خصوصيةً، يؤدي السياق أيضاً دوراً أساسياً في إذكاء إيحائيته [٢٧] .

الريح:

يهدف الشاعر الفلسطيني " لطفي زغلول" من خلال التعبير عن عناصر الطبيعة إلى الرفعة باللفظة الدالة على العنصر الطبيعي (الريح) من المدلول المعجمي المعروف إلى مستوى الرمز، ليعطي للمفردة دلالةً شعوريةً خاصةً بالشاعر، فالريح من المكونات الطبيعة الفاعلة، التي تدل على الفعل والتغيير، فتنقل الطبيعة من حال إلى حال، وتختلف صورة الريح باختلاف قوتها ونتائجها فتنتقل من ريح هادئة إلى ريح عاصفة، ومن ريح جالب للأمطار والعشق والهوى إلى ريح مدمرة. وتختلف معاني الرياح أيضاً بتنوع الحاجات الدلالية في النص، ومن هنا يتفاعل رمز الريح في توظيفه مع سياقه لتوليد المعني وتعضيده. فإذا كانت الرياح في المنظور القرآني تحمل بشرى وحياة لأرض اليباب، فإنّها تعصف بأرض فلسطين الحبلى بالويلات والأسي دون هواده، ولهذا رمز " زغلول " بالريح السوداء للمحتل الإسرائيلي، وحملّه مباشرة مسؤولية الاغتراب والتهجير القسري، الذي تعرض له الشعب الفلسطيني.

أعرف اية ريح سوداء
حملتك ذات صباح
انتحرت شمسه
قبل أن تطلّ على الأفق
دمها سال عتمة على الطرقات
والمدى ظل عالقاً. ..
أعرف أية ريح سوداء
ساقتك إلى هنا
أيها المتسلّل المسريل
بالإغتراب والعتمة [٢٨] .

تارة" الرياح في شعر"زغلول" تمثل البطش والتدمير والفساد، كما جاء في قوله:

أنا لست صيداً
وإن كانت الرّيح حين تثور..
تلوِّن وجه النّهارات قاراً
وتشعل ناراً. ..
فيغدو المدى مثخناً في مداه..
شريعة غاب ووكر ذئاب (٢٩)

وتارة ترمز إلى العدو الصهيوني الذي يريد اقتلاع الفلسطيني من أرضه، ولكن صمود الانسان الفلسطيني يشيع عبقاً من التحدي والرفض في فضاء النص، في وجه هذه الرياح العاتية.

سلام ٌعليك
حملناك بين الجوانح وعداً
وإن غالت الريح
أغصانها الخضر
تبق الجذور (٣٠)

فأصداء هذه الدلالة تكررت في نص آخر عندما أكد الشاعر على تحديه ورفضه وعدم انصياعه للرياح المدمرة المتمثلة بالكيان الصهيوني.

وحين أساق إليه
أعود كما ذات يوم. .
ولدت عصياً
أنا لست إلاّ أنا
لن أكون سواي
وإن مزقت هذه الرياحُ. ..
قسراً ثيابي
وطالت عصور اغترابي (٣١) .

الليل:

يعدّ الليل من أهم الرموز الطبيعية في الشعر، وذلك لما يحمله من غنى في الدلالات تفتح آفاق النص على معانٍ متعددة ومتنوعة، تظهر قدرة الشاعر الفنية في توظيف هذا

الرمز. فالليل غالباً ما يرتبط بالسكون والهدوء المطبق، لكن هذا السكون يعدّ لدى الإنسان الفلسطيني هدوءاً قبل العاصفة، لأنّ افعال المحتل الصهيوني دوماً ما تكسر هذا السكون، فالشاعر الفلسطيني الذي عاش محنة الاحتلال ومآسيه، رسم صورة حالكة لليل الذي يعم وطنه يومياً، فالليل الفلسطيني دوماً يلد ظلاماً دامساً يفرز دلالة القمع والكبت، وهذا مانص عليه قول الشاعر "لطفي زغلول":

يتقيأُ هذا الليل. .
ظلاماً يجتاح الأقمار..
يطاردها قمراً قمراً
يغتال الضحكة في أعينها
لايتردد أن يقتلع القمر..
وينفيه جسداً تنهشه أنياب الغربة..
في صحراء التيه
هو يركض خلفي. . يتبعني
يختبئ هناك.. وهنا. .
في كل مكان
يتسلل. . كالبرد المسعور إلى أوصالي
يسكنني رغماً عني
يطردوني من جنة ذاتي
من زمني الحاضر.. والآتي
لكنّي رغم مخالبه السوداء. .
ورغم لياليه اللّيلاء..
أعود.. لأبحث عني
عما اغتصبته يده منّي (٣٢) .

فالمحتل الصهيوني كالليل الدامس من أوجه عدّةً: فهو كالظلام متسلط وثقيل، لأنّ الظلام الدامس يحاول أن يغتال الأنوار وأن يقلع الأقمار، والمحتل يحاول أن يقتل النهار المتمثل بفلسطين، فالليل يحمل جميع صفات الجبروت ومايضمه من عنصر المباغته ويتسلل إلى كل مكان ليطرد الإنسان من مأواه، فالمحتل وقناصته المدمنين على الدم متخفين كالليل، يصبحون كالطيور الكاسرة ينتهزون الفرصة لينقضوا على الإنسان الفلسطيني. ورغم قتامة الصورة الشعرية فإن الشاعر يتحدى هذا الاستبداد والطغيان ويعد نفسه والآخرين المشردين بأنّه سوف يعود، ويأخذ ما سلبه المحتل منه.

الطيور والحشرات والزواحف:

البلابل:

الشاعرالفلسطيني تارةً يعتمد أُسلوب التمثيل كخيار ناجع ومؤثر لإيصال فكرته، ومن ذلك توظيف أسماء الطيور بصورة رامزة في قصائده لتمثيل مايعانيه، ومنها "البلابل" وهي رمز للفلسطيني اللاجيء الذي هجر أيكه وترك إلفه وحيداً فتعاني البلابل المهجورة من فراق أحبتها فتحن دوماً للرجوع إلى أوكارها التي ترعرعت ونمت فيها. وهذا مانلمسه في قصيدة « نحر الصمت أيامه» للشاعر:

متي ستعود البلابل
تعمر أفنان هذا المدى
ضاق صدر فضاءاته
لوّن الاغتراب عباءاته
نحر الصمت أيامه. ..
وبحّة شدو البلابل
تجتّر في سرِّها الأسر ليلاً ونهاراً
متي ستعود البلابل
ما عاد دوح الأزاهير يصحو على بوحها
والأزاهير ماعاد عشّاقها (٣٣) .

فالمرموز إليه في هذا النص هو الإنسان الفلسطيني المشرد عن وطنه واللآجي في الغربة، المتأمل بالعوده إلى أرضه، فالاغتراب لم يكسر عزيمته، بل ظلت فكرة العودة تواقة حية في مخيلة هذا الإنسان المغترب.

الجراد:

الجراد في ثقافات الأمم والشعوب، رمز للخراب والدمار وكانت الشعوب تتخوف من كثرة هذا الكائن، لإنّ كثرته وتواجده في منطقة ما، سيقضي على كل المحاصيل الزراعية، وبالتالي يأتي بالمجاعة والدمار، فالشاعر الفلسطيني من هذا المنطلق اتخذ من الجراد رمزاً للمحتل الصهيوني، الذي اكتسح فلسطين وأكل الأخضر واليابس من ربوعها ونهب خيراتها وعاث فيها فساداً.

كان جراد الصحراء يطاردني
جراد ذلك الخريف. ..
سرق الكثير منّي

إلاّ أنه لم يستطع. .
أن يسرق عشقاً
أوصدت عليه الأبواب عشقاً. .
لا يتسلّل إليه الخريف (٣٤).

ولكن في خضم هذا الشاعر يتحدي هذا الرمز وممارساته، بأنّه لايستطيع أن يسرق حب فلسطين من قلبه، وسيبقي هذا الحب عامراً آمناً دون أن يصل إليه خريفاً.

وفي محطة أخري من شعره يؤكد "زغلول" أنّ المرموز إليه «اليهود الصهاينة» الذي نُفِي إلى فلسطين، ثكل أحلام ورؤى أبناء فلسطين، وقتل الحياة برمتها، ووأد أغصان الزيتون« العشق القديم» وأصبحت الحياة متوقفة تماماً، مادام جاثماً على أرض فلسطين.

ثكلتُ الرؤي. .
يوم عاد الجراد الذي
كان يمضي سحابة منفاه
بين سراديب أوكاره. ..
يوعاد.. توقّف نبض الأزاهير. ..
وجه الأفانين عاثت بِهِ صفرة الموت
ليل سقيم. . نهارسقيم. ..
يوم عاد الجرادُ
أطاح بأغصان عشق قديم
ترى هل يمرُّ مرور السحائب
أم أنّه عاد حتي يقيم (٣٥).

وهذا المعنى تكرر في مقطع آخر عندما أقرّ الشاعر بأنّ غزو الجراد سيقضي على أحلامه وآماله الخضراء فتعم الصفرة والموت سفر حياته وحياة بلاده، فيبقى العجاف جاثماً على ربوعه وطنه.

ستجيء نهاراتٌ تغزو فيها قطعان جراد محرابي
أحلامي الخضراء ستغدو بحر يباب وستسرق من عمري عمراً
وتكون عجافاً. حتى آخر يوم، باقي أيامي (٣٦).

الثعابين:

الثعابين من الزواحف التي وردت كثيراً في شعر شعراء فلسطين وراحت ترمز في أدبياتهم، إلى العدو الصهيوني، الذي استولى على ما زرعه الفلسطينيون من غصن وقمح

وكرم، ودمَّرَ حقولهم وآبارهم، وعاث فيها فساداً وأحرق الحرث والنسل.، فالثعابين التي تكلم عنها "لطفي زغلول" هي ثعابين ذات عنجهيه وتبختر، ترعرعت على عدم الارتواء من دماء أبناء فلسطين، فهي ماضية في عطشها الجنوني للارتواء أكثر من دمائهم.

الثعابين تختال زهواً وغروراً
تلوِّن بالنار أعراسها
ينزف العشق بين يديها.. .
الثعابين لا تعرف الارتواء
جنون هو العطش الأفعواني
حتى الثمالة. . حتي تجنّ الكؤوس
وحتي تغيب الرؤوس
وتنتحر أنفاسها
الثعابين. . لاشيء الاّ الثعابين
لاشيء الاّ الجحور (٣٧) .

الفراشة:

الشاعرالفلسطيني في نضاله مع العدو المحتل يحاول قدر الإمكان توظيف كل ما يدور حوله لبيان شراسة المحتل وفضاعته، فالشاعر في مقاومته غير المتكافئة، يصف أشبال فلسطين الذين يقتلون من قبل العدو الصهيوني بالفراشة، التي ترمز في ثقافات الشعوب إلى البراءة والجمال، مما يشير إلى مدى قسوة جنود المحتل وشراستهم وتعاملهم بلا رحمة مع أطفال فلسطين وأشبالها.

أنت تصطاد هذي الفراشات. . في دوحها
مثلما هو يصطادها
أنت جلاّدها. . أنت سفّاحها
لِمَا تزهق في مذبح الحقد أرواحها
أنتما صائد واحد حاقد
عاقد العزم أن يستبيح
فراشات هذا المدى
أن يعرّيها من عباء اتها
أن يطيح بها من فضاءاتها
كؤوس الردى (٣٨) .

الغربان:

تكررت مفردتا " الغربان " و" غربان الليل" في أكثر من موضع في شعر" لطفي زغلول "فهما من أكثر المفردات تردداً في ملفه الشعري، نظراً لما يحمله الرمز «الغربان» في طياته من معان سلبية ومنها: إنّ الغراب في ثقافة العرب والمسلمين وبعض الثقافات الأخرى، نذير للشؤم والنفور والتبختر، فالشاعر أردف لهذا الرمز مفردة « الليل» التي تعني الخوف والرعب والحزن فضلاً عن معناه الإيجابيّ «السبات والسكون» الذي أراده **الله**، لكن في فلسطين الجريحة، لم يبق لهذا المعنى الإيجابيّ شيء. فالتركيب الرمزي "غربان الليل " لهذه العبارة يكشف عن مدى كره الإنسان الفلسطيني لهذا الطائر المشؤوم الذي دمّر البلاد، وقتل العباد في إشارة غير مباشرة للعدو الصهيوني الذي احتل فلسطين وقتل أصحابها وشرّد أبناءها وغدا يصول ويجول في عرض البلاد.

أنا مازلتُ بلا وطن
يعصف بي العشق. . يبعثرني
حيناً .. ويعود يلملمني
والليل يطول يطول يطول
ومازالت غربان الليل. . تصول وتجول (٣٩)

وفي مقطع آخر، يرمز الشاعر بالغربان إلى المحتل الإسرائيلي الذي جاء من أقصى الدنيا ليحتل وطنه.

يوم أغتالت وطني
غربان جاءت من أقصى أطراف الدّنيا
هاجرت إلى لغتي (٤٠)

وفي محطة أخرى يرى الشاعر أنّ هذا الرمزلايحمل سوى التكبر والزهو والقذراة والظلمات، واستباحة المقدرات للشعب المحتل. فيتحداهُ ويطالبه بالرحيل قبل بزوغ الفجر.

ذلك الطائر المتدثر بالكبر
من أيِّ جُحرٍ تسلّل
رائحة الوحل تقطر من جلدِهِ
ليل عينيه بحرٌ من الظلمات
ذلك الطائر المتعالي على سربهِ

يستبيح الغصون..
يكابر ليلاً نهاراً
يعربدُ سرّاً جِهاراً. ..
من أية أوكارٍ وجحور
جاء إلى هذا الفنن المسكون
بأشواق العشاق.. و أحلام السمّار
هذا فنني
فننُ الأطيار . ترتّل آناء الأسحار
. . فليترجّل عن صهوة هذا الكبر
الزائف والإصرار
وليرحل قبل طلوع الشمس
فليس له في هذا الدوح نهار [٤١] .

الألوان ودلالاتها:

تعدُّ الألوان من أكثر الأشياء جمالاً وخصوبة في حياة الإنسان، فالألوان ليست خطوطاً أو مساحات شكلية خالية من دلالات جمالية وتعبيرية ورمزية، أو إنّها صور تعبر عن موضوعات الحياة وانفعالات الأديب بها، بل هي بسطوتها على الصورة الشعرية وعلاقاته الوطيدة مع الرؤية الفنية تميط اللثام عن إحساس الشاعر كي يدخل في نسيج الصورة الفنية التي تشتمل على دلالات عدّة منها نفسية واجتماعية ورمزية. فالألوان في الشعر المقاوم الفلسطيني، ولا سيما « لطفي زغلول»، لها دلالاتها النابعة بالدرجة الأولى من مفاهيم فلسفية وروحية وعقائدية تستمد ركائزها من الاسلام وتعاليمه، فلذلك تنوعت مدلولاتها لدى الشاعر الفلسطيني.

اللون الاسود:

اللون الاسود منذ الأزل شكّل نقطة نفور وخوف في الموروث البشري وارتبط بدلالات عدّة منها: الظلام والشرّ والموت والغم والوهم.. فالأسود «لون يثري الحزن والتشاؤم والخوف من المجهول لارتباطه بأشياء منفّرة في الطبيعة دون سائر الألوان، فهومرتبط بالليل والظلام، والزفت والسخام، والهباب والرماد المتخلف عن الحريق [٤٢] » وكان شعارالعباسيين في أحزانهم ومصائبهم وشعار أغلب الدول العربية يتضمنها اللون الأسود تأثراً ببيت الشعر المعروف « سودٌ وقائعنا حمرٌ مواضينا [٤٣] »هذا اللون في العصر الحديث، اكتسب دلالات وايحاءات اُخرى منها التعتيم والكبت والكآبة والخطيئة والتعسف وغير ذلك

من الإيحاءات. والشعر الفلسطيني المقاوم استلهم كثيراً من تلك الدلالات وراح يرمز لهذا اللون بعبارات ومعانٍ شتى ومنها:

أ. النكبة واحتلال اسرائيل لفلسطين عام١٩٤٨:

الشاعرالفلسطيني رمز لاحتلال إسرائيل لفلسطين عام ١٩٤٨، باليوم الأسود والعاصفة السوداء، مما يشير هذا اللون وهذا الوصف إلى فداحة الحدث وهول الصدمة.

وذات يوم أسود
ليس من أجندة تاريخ الإنسانية
اقتعلتني عاصفة سوداء. ..
رمتني في جحيم المنفي..
بلا أرض. . بلا دار.. بلا حُبٍّ..
بلا أمل (٤٤)

ب. بيان القمع والاضطهاد والكبت:

وظّف الشاعر"لطفي زغلول" اللون الأسود، لبيان القمع والاضطهاد والتعسف الذي مرّ ويمرّ به الشعب الفلسطيني نتيجة الاحتلال الاسرائيلي، فلمّح إلى تلك المقولة بعبارة "ليلة سوداء":

بليلة سوداء..
لا نجم فيها. .
ولا حتى قمر
رجع الخطر. . هجموا التتر
سرقوا البلاد
قتلوا العباد
واستوطنوا. . وتحصنوا. ..
ليلُك على أرضي طويل
ليلُك أسى. . ليلُك عويل (٤٥) .

ج. بيان الكراهية ومدي قسوة جنودالأحتلال في تعاملهم مع أطفال فلسطين:

مزج الشاعر الفلسطيني الحقد تارة باللون الأسود ليبين مدى ضغينة الجندي الأسرائيلي وحقده على الطفولة الفلسطينية المتسمة بالبراءة والطهر، وإنّ هذا الحقد دفين في نفسية الجندي الأسرائيلي بحيث نُزعت منه كل مشاعر الآدمية، فأصبح قلبه حاقداً أسود.

ذاك الجنديّ القابع في برج عالٍ..
يتدثّر بالحقد الأسود..
هو من قتل الطفل محمد
مَن لوّن بالدم ثوب طفولته العذراء (٤٦)

اللون الأحمر:

يعدُّ اللون الأحمر من أوائل الألوان التي عرفها البشر في الطبيعة، فهو من الألوان الساخنة المستمدة من وهج الشمس، واشتعال النار والحرارة الشديدة، وهو من أطول الموجات الضوئية (٤٧) ويعدُّ أغني الألوان وأكثرها تضارباً فهو لون البهجة والحزن، وهو لون الثقة بالنفس والتردّد والشك، وهو لون العنف والمرح، إلى غير ذلك من الدلالات الجزئية المتداخلة والمتباينة في آنٍ (٤٨) هذا اللون كان من أكثر الألوان استعمالاً في الشعر المقاوم الفلسطيني، فراح يرمز إلى دلالات وإيحاءات عدّة، ولعلّ أبرز سمة للأحمر في الشعر الفلسطيني، ارتباطه بالدم، ممّا جعله لوناً مخفياً ومقدساً في وقت واحد ممّا نحا في كثير من دلالاته منحى التحدي والثورة والصمود والفرح والسعادة. ومن بين شعراء فلسطين الذين استخدم هذا اللون بالمعني المتعارف عليه، الشهادة والتضحية، الشاعرالمناضل الفلسطيني «لطفي زغلول» حيث يقول:

ياوطني الشامخ في أصفاده
أبيت أن تذلَّ في الأصفاد
يا حادي الحرية الحمراء
من. ..
إلاّك في ساح الجهاد حادِ
أنت الشديد البأس لم تركع. (٤٩)

فالشاعر يرى أنّ تحرير وطنه سيتم عبرالصمود والتضحية بالأحمر، فالحرية التي ينشدها الفلسطينيون، لاتحقق الاّ بالدماء ووصف الشاعر وطنه بحادي الحرية الحمراء، الذي لم يستسلم، ولم يركع لأحدٍ غير الله. وتكرر هذا المعنى في أكثر من موضع عند "لطفي زغلول" الذي جزم بأنّ تحرير البِلاد، ولو شبر واحد لايتم الاّ بواسطة الدم.

تظمأ الأوطان يوماً
وبغير الدم.. شبر واحد لا يتحرر
فتقدم هاتفاً: الله أكبر (٥٠)

وتارة دم الشهيد هوالذي يروي المجد والحرية الحمراء المنشودة.
صباح المجد والحرية الحمراء. . يرويها دم الشهداء (٥١)

اللون الأخضر:

يعدّ اللون الأخضر من الألوان المفضلة والمحببة لدى الإنسان، ويحمل في طياته معاني سامية عدّة فهو من أكثر الألوان استقراراً ووضوحاً في الدلالة، فهو «لون الخصب والنعيم، والنماء والزمرد الزبرجد[٥٢] وأيضاً» قرين الشجرة رمز الحياة والتجدّد، وهومرتبط بالحقول والحدائق وهدوء الأعصاب [٥٣] وقد اقترن اللون الأخضر بما يمثله من الخلود والتجدّد بايحاءات كالأمل والتفاؤل والعطاء والفرح والبهجة والرفاهة، والنعيم... حتى وصف **الله** ثياب أهل الجنّة ومقاعدهم بهذا اللون نظراً لرمزيته الخاصة، حيث قال ربّ العزة في محكم كتابه: «ويلبسون ثياباً خُضراً من سندس وإستبرق [٥٤] وأيضاً قوله تعالى: ﴿**متكئين على رفرفٍ خُضرٍ وعبقري حِسان**﴾ [٥٥] فالرمزية التي يتمتع بها هذا اللون، جعلته يتبوأ الرتبة الأولي في الشعر الفلسطيني بين الألوان، حيث درج شعراء الأرض المحتله على توظيفه، ولا تكاد أن تجد قصيدة واحدة الاّ أن تجد له أثراً فيها. **ومن هذا المنطلق تنوعت دلالات هذا اللون في شعر وإيحاءاته "لطفي زغلول"، ومن أبرزها:**

أ. تجدد الحياة والانبعاث رغم المحن:

فلقد آمنت بأنّ غداً آتٍ.. .
تحمله أجنحةُ التغيير
وبأنّ الاحلام الخضراء..
ستزهر رغم ضباب الرؤية والتفسير [٥٦]

وهذا المعنى تكرر في أكثر من موضع حيث اتخذ الشاعر من دم الشهيد رمزاً للأمل المنشود، الأمل الذي امتزج باللون الأخضر ليعطي الحياة مزيداً من البعث والنماء والازدهار رغم الجراح والأسى.

بالدم الأوطان تسقى
أنت باق أملاً أخضر فينا . وستبقى
يورق الجرح سنابل
يلد الجرح حقولاً وجداول. ..
سيظل المرج. . مهما اشتد ليل الجدب أخضر. [٥٧]

ب. تجدد الوعد والعهد:

حين تلامس بسمتك الخضراء
روافد إحساس الحُلمُ الغافي
تصحو واعدة.. تتجلي. (٥٨)

ج: التفاعل برجوع الذكريات رغم التشتت والضياع:

قدرٌ جاء بها. .
ما أصغر الدنيا
إذا شاء طواها
فالتقى كل شتيتٍ بشتيتٍ
بعدما ضاع وتاها
خلاصة حلوة من وطني الساكن عينيها
بإطلالتها تخضوضر الذكرى
وتسترجع أيام
الرّؤى الخضر صباها. (٥٩)

الشاعر رغم محنة الزمن ومآسيه يتفاعل برجوع الذكريات والرؤي، التي طبعها باللون الأخضر، كي يؤكد ترعرعها ونضارتها رغم التشريد والاغتراب.

خلاصة البحث:

غدت تقنية توظيف الرموز والاستعارات في الشعر المقاوم الفلسطيني بأشكالاها كافة من الأساليب التي استهوت كثيراً منهم، **فتنوعت أسباب ولجوئهم هم لهذه التقنية وعلله ومن هذه الأسباب**:

١. تنبع من الحاجة لإثراء النص من التراث ورموزه الفنية وقدرته الباهرة على الإيحاء والتأثير على المتلقي.

٢. هرباً من الحاضر التعيس والعجز الذي تمربه الأمة، من النكسات إلى أحضان الماضي المشرق واستنهاض الهمم بواسطة الرموز المستخدمة وأثارة البعد القومي.

٣. توليد دلالات وإيحاءات حديثة في النص الشعري، واستكشاف العلاقات الحسية التي تربط الشيء بغيره من الاشياء.

٤. استدعاء الرموز في الشعر تدل على سعة الشاعرالثقافية ومعرفته بالتراث وقيمه الفنية.

٥. الخوف من بطش سلطة الاحتلال والتعرض للاعتقال والتنكيل.

نتائج الدراسة:

١. استطاع "لطفي زغلول" تحويل اللغة الشعرية إلى لغة رامزه تستمد قدرتها الإيحائية من تجاوزها الواقع

٢. استطاع "زغلول" أن يحول كل رمز واستعارة وظَّفهما إلى رموز تحدٍ ونضال.

٣. استطاع أن يوظف النص القرآني، والرموز التاريخية إما لتحفيز الهمم، وإما للصبر والنضال، وإما للمفارقة، وإما لبيان الوضع الهش والموقف الهزيل للأمة العربية والإسلامية، وإما لبيان التمرد والرفض، وعدم الخنوع للشعب الفلسطيني بوجه الآلة القمعية للعدو الصهيوني.

٤. استخدم الطبيعة لتلوين الصورة الشعرية في إطار الترميز إلى أصالة وعراقة الفلسطيني في أرضه، وتصوير صموده وثباته رغم محاولات العدو لطمس هويته وتاريخه.

٥. خروج اللون الأحمر من دائرته الشمولية وتوظيفه في بؤرة واحدة، جعلته يصب في خانة التضحية والشهادة والثورة والتمرد والثأر والحركة الصاخبة، وكأنّه رمزٌ للحرية والتحرر من نير المحتل.

٦. وظّف الشاعر"لطفي زغلول" اللون الأسود ومايتعلق به من مفاهيم، لبيان المآسي والكوارث التي حلّت بِالشعب الفلسطيني من قبل المحتل وبيان إفرازت هذا اللون على نفسية المواطن في أرض الرباط.

٧. استخدام اللون الأخضر ورمزيته بكثافة من قبل الشاعر ارتبط بمفاهيم دينية و دلالات أسطورية، ممّا جعله يرمز إلى الانبعاث والحياة والأمل مقابل الموت والتقتيل والقنوط.

الهوامش:

١. مفيد، محمد١٩٨٢ص١٠١.
٢. حداد، ١٩٨٦ص٧٤.
٣. شاعر الحب والوطن، ٢٠٠٦ص١٥٩.
٤. زغلول، ٢٠٠٩صص٩٤– ٩٥.
٥. اسماعيل٢٠٠٧، ص٣٦.
٦. عشري زايد، ١٩٩٧ص٧٥.
٧. زغلول، ٢٠٠٣ص٥١.
٨. المصدرنفسه، ٩١ .
٩. سورة الفيل/ ١– ٥.
١٠. زغلول، ٢٠٠٤ص٧٤.
١١. يوسف/ ٤٣.
١٢. زغلول٢٠٠٩، ص٤٣.
١٣. زغلول، ٢٠٠١، ١٣٦.
١٤. زغلول، ٢٠٠٤ص٧٣.
١٥. آل عمران/ ١١٠.
١٦. نصر، عاطف ١٩٩٨، ص٧٧.
١٧. رجاء، عيد٢٠٠٣، ص٣٢٢.
١٨. زغلول، ٢٠٠٦ نقوش على جدران الغضب، ص٣٦.
١٩. زغلو ل، ١٩٩٤ص٢٥٠.
٢٠. زغلول، ٢٠٠٤ص٦٠.
٢١. زغلول، ٢٠٠٦، نقوش على جدران الغضب، ص١٧.
٢٢. زغلول ٢٠٠٤، ص٢١.
٢٣. زغلول، ٢٠٠٦، نقوش على جدران الغضب، ص٣٠.

٢٤. نفس المصدر، ٩٧.

٢٥. زغلول، ٢٠٠٣، ٧٩.

٢٦. زغلول، ٢٠٠٣، صص٣٧- ٣٩.

٢٧. «اقبال، رشيدة، مجلة علامات، العدد٢٦، ص٥٦».

٢٨. زغلول، ٢٠٠١، ٥١.

٢٩. زغلول، ٢٠٠٥، مدينة وقودها انسان، ٣٩.

٣٠. زغلول، ٢٠٠٢، ٣٦.

٣١. نفس المصدر، ٣٩- ٤٠.

٣٢. نفس المصدر، ٥٦.

٣٣. ديوان، ٢٠٠٩، ٢٩.

٣٤. زغلول، ٢٠٠١، ٤٣.

٣٥. زغلول، ٢٠٠٩، ٤٥- ٤٦.

٣٦. زغلول، نفس المصدر، ٤٣.

٣٧. نفس المصدر، ٥٢.

٣٨. نفس المصدر، ٦٥.

٣٩. نفس المصدر، ١٣.

٤٠. زغلول، مدينة وقودها انسان، ٥٧.

٤١. زغلول، ٢٠٠٩ص٤٨.

٤٢. عمر، أحمد مختار، ١٩٨٢صص٢٠٢- ٢٠٤.

٤٣. الصقر، أياد٢٠١٠، ص١٦٧.

٤٤. زغلول، نقوش على جدران الغضب، ص٨٠.

٤٥. نفس المصدر، ٤٣.

٤٦. زغلول، ٢٠٠٤، ص٤٧.

٤٧. عمر، أحمدمختار، ص١١١.

٤٨. نفس المصدر، صص٢١٢- ٢١٤.

٤٩. زغلول، ٢٠٠٤، ص٤١.

٥٠. فتحي، خضر١٩٩٩، ص٤٣.

٥١. زغلول، ٢٠٠٤، ص٥٧.

٥٢. عمر، مختار، ص٢٠٩.

٥٣. عجينة، محمد١٩٨٨ص٢٩١- ٢٩٢.

٥٤. الكهف/ ٣١.

٥٥. الرحمن/ ٧٦.

٥٦. زغلول، ٢٠٠٦ص٧٣.

٥٧. نفس المصدر، ١٧١.

٥٨. زغلول، ٢٠١٠، ص٩٩.

٥٩. زغلول، ١٩٩٤، ص٥.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. اسماعيل، عزالدين (٢٠٠٧) : الشعرالعربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، بيروت، دارالعوده.

٣. اقبال، رشيدة، (٢٠٠٨) «الرمز الشعري لدي محمود درويش- الرمز الطبيعي نموذجاً» مجلة علامات، العدد٢٦مجلة النادي الثقافي جدة.

٤. حداد، على (١٩٨٦) : أثر التراث في الشعر العراقي، بغداد، دار الآفاق.

٥. زايد، على (١٩٧٨) : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، طرابلس.

٦. زغلول، لطفي (١٩٩٦) : ديوان، لاحبّاً إلا أنت، نابلس، الشركة العالمية للطباعة والنشر.

٧. ------------ (٢٠٠٣) : مدار النار والنّوار، فلسطين، القدس.

٨. ------------ (٢٠٠٤) : موال في الليل العربي، القدس، اتحاد كتّاب فلسطين.

٩. ------------ (٢٠٠٥) : مدينة وقودها الإنسان، القدس، دارناشري للنشر الإلكتروني.

١٠. ------------ (٢٠٠٦) : شاعر الحب والوطن، فلسطين، القدس، دارناشري للنشرالإلكتروني.

١١. ------------ (٢٠٠٩) : ديوان مرافئ السراب، فلسطين، نابلس، دارناشري.

١٢. ------------ (٢٠٠٥) : مطر النار والياسمين، القدس، دارناشري للنشر الإلكتروني.

١٣. ------------ (٢٠٠٢) : هنا كنا. هنا سنكون، القدس، اتحاد كتاب فلسطين.

١٤. ------------ (٢٠١٠) : تقاسيم قصائد بلاحدود، فلسطين، نابلس، اتحاد كتّاب فلسطين.

١٥. -------------- (٢٠٠٦) : نقوش على جدران الغضب، مكتبة ريم الالكترونية للنشر.

١٦. صقر، اياد محمد (٢٠١٠) : فلسفة الألوان، الأردن، عمّان، الأهليه للنشر والتوزيع.

١٧. عجينة، محمد (١٩٨٨) : موسوعة أساطير العرب، لبنان، بيروت، دارفارابي.

١٨. عمر، أحمد مختار (١٩٨٢) : اللغة واللون، مصر، القاهرة، عالم الكتاب.

١٩. عيد، رجاء (٢٠٠٣) : لغة الشعر قراءة في الشعرالعربي المعاصر، مصر، منشأة معارف بالاسكندرية.

٢٠. فتحي، خضر (١٩٩٩) : اللغة العربية، نابلس، جامعة النجاح الوطنية.

٢١. قميحة، مفيدمحمد (١٩٨٢) : الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، لبنان، بيروت.

٢٢. نصر، عاطف جوده (١٩٩٨) : الرمز الشعري عند الصوفية، القاهره.